٧٥ - الله - جل جلاله - الخلاَّقُ

الدليل على ثبوت الاسم وإحصائه.

ورد الاسم مطلقا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه معرفا محمولا عليه المعنى مسندا إليه مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيم} [الحجر:٨٦] ، وقوله: {أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ} [يّس:٨١] ، وفي مستدرك الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: (جاء العاص بن وائل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم، قال فنزلت: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ .. إلى قوله .. أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ. الآيات}) (١) .

شرح الاسم وتفسير معناه.

الخلاق صيغة مبالغة على وزن فعال من اسم الفاعل الخالق، فعله خلق يخلق خلقا والفرق بين الخالق والخلاق أن الخالق هو الذي ينشئ الشيء من العدم بتقدير وعلم ثم بمشيئة وتصنيع وخلق عن قدرة وغنى، أما الخلاق فهو الذي يبدع في خلقه كما وكيفا فمن حيث الكم يخلق ما يشاء كما قال - عز وجل: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرا} [النساء:١٣٣] ، وقال: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [الأنعام:١٣٣] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين تفسير سورة يس ٢/ ٤٦٦ (٣٦٠٦) .

وأما من حيث الكيف فقال: { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُل شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُون } [النمل:٨٨] ، وقال - عز وجل: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [التغابن:٣] ، فالخلاق هو الذي يبدع في خلقه كما وكيفا بقدرته المطلقة، فيعيد ما خلق ويكرره كما كان، بل يخلق خلقا جديدا أحسن مما كان (١) ، وفي هذا رد على الذين قالوا ليس في الإمكان أبدع مما كان لأن ذلك ينافي معنى اسمه الخلاق، صحيح أن الله - عز وجل - أحسن وأتقن كل شيء خلقه كما قال: { الذِي أَحْسَنَ كُل شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ } [السجدة:٧] ، لكن قدرة الله مطلقة فهو الخالق الخلاق كما أنه الرازق الرزاق .

---

(١) انظر في معنى الخالق والخلاق شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص٢١١، وتفسير الأسماء للزجاج ص ٣٦ والمقصد الأسنى ص٧٢، والأسماء والصفات للبيهقي ص٤٢ .

قال ابن تيمية فيمن قال ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم، لأنه لو كان كذلك ولم يخلقه لكان بخلا يناقض الجود أو عجزا يناقض القدرة: (لا ريب أن الله سبحانه يقدر على غير هذا العالم وعلى إبداع غيره إلى ما لا يتناهى كثرة ويقدر على غير ما فعله كما بين ذلك في غير موضع من القرآن، وقد يراد به - يعني قول القائل ليس في الإمكان - أنه ما يمكن أحسن منه ولا أكمل منه، فهذا ليس قدحا في القدرة، بل قد أثبت قدرته على غير ما فعله، لكن قال ما فعله أحسن وأكمل مما لم يفعله، وهذا وصف له سبحانه بالكرم والجود والإحسان، وهو سبحانه الأكرم فلا يتصور أكرم منه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا) (١) ، ويذكر ابن القيم أن براهين المعاد في القرآن مبينة على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال: { مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } ، وقال: { وَإِن السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيم } [الحجر:٨٦] .

والثاني: تقرير كمال قدرته كقوله: { أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ } [يس:٨١] .

الثالث: كمال حكمته كما في قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ } [الدخان:٣٨] ، وقوله سبحانه: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ } [المؤمنون:١١٥] (٢) .

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية ص١٢٠، رسالة في معنى كون الرب عادلا وفي تنزهه عن الظلم .

(٢) الفوائد لابن القيم ص٧ .

قال ابن كثير: (وقوله إن ربك هو الخلاق العليم تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق شيء، العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق في سائر أقطار الأرض) (١) .

والقرطبي يجعل الخلاق دالا أيضا تقدير الله للأخلاق وتقسيمها بين العباد، وهذا يسعه اللفظ ويحتمله، يقول: (إن ربك هو الخلاق أي المقدر للخلق والأخلاق، العليم بأهل الوفاق والنفاق) (٢) .

دلالة الاسم على أوصاف الله .

الاسم يدل بالمطابقة والتضمن واللزوم على ما دل عليه اسمه الخالق غير أن الخلاق مبالغة في الدلالة على الوصف لكثرة الفعل، فالخالق هو الذي ينشئ الشيء من العدم بتقدير وعلم ثم بتصنيع وخلق عن قدرة وغنى، أما الخلاق فهو الذي يبدع في خلقه كما وكيفا على مثال وغير مثال، والاسمان يدلان على صفة من صفات الأفعال .

الدعاء باسم الله الخلاق دعاء مسألة .

ورد دعاء المسألة بالاسم المطلق فيما أثر عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال: (اللهم إنك خلاق عظيم، إنك سميع عليم، إنك غفور رحيم، إنك رب العرش العظيم، إنك البر الجواد الكريم، اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني واجبرني وارفعني واهدني ولا تضلني وأدخلني الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين) (٣) .

وعند ابن ماجة وصححه الشيخ الألباني من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ أَنْتَ رَبِّي، سَجَدَ وَجْهِي لِلذِي شَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٧ .

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٥٤ .

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٤٤١/١ (١٨٠٠) .

(٤) ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب سجود القرآن ٣٣٥/١ (١٠٥٤) ، الكلم الطيب (٨٧) .

الدعاء باسم الله الخلاق دعاء عبادة .

دعاء العبادة هو يقين الشخص وإيمانه بالاسم ومقتضاه، فيؤمن بكمال علم الله وحكمته، وأنه الذي يبدع في خلقه كما وكيفا بكمال قدرته، وأن الله لا يعجزه شيء في ملكه، وهو سبحانه غالب على أمره، خلق الدنيا بأسباب تؤدي إلى نتائج وعلل تؤدي إلى معلولات، السبب والنتيجة أو العلة والمعلول مخلوقان بعلم الله ومشيئته وقدرته المطلقة على الخلق، سواء ارتبط المعلول بعلته أو انفصل عن علته أو ارتبط السبب بنتيجته أو انفصل عن نتيجته، كل ذلك لا يؤثر في قدرة الخلاق، ولا يحد من الكمال والإطلاق، ولكن ترابط العلل والأسباب أو انفصالها ظاهر عن كمال العدل والحكمة .

ولمزيد من البيان في كيفية الإيمان بمقتضى اسم الله الخلاق يمكن القول إن الله - عز وجل - جعل الحياة مبنية على ترابط الأسباب بحيث لا يخلق النتيجة إلا إذا خلق سببها أولا ولا يخلق المعلول إلا إذا خلق علته أولا، فلا يخلق النبتة إلا إذا خلق البذرة، ولا يخلق الثمرة إلا إذا خلق النبتة، لا يخلق الابن إلا إذا أوجد الأب والأم، ومن هنا ظهرت الأسباب للعقلاء كابتلاء يصح من خلاله معنى البديهيات، وصحة التجارب والمعادلات، فأهل اليقين ينظرون إلى الأسباب ويعلمون أنها صادرة عن الخلاق، وأن الله - عز وجل - تارة ينسب الفعل إليه لأنه الخالق بتقدير وقدرة، وتارة ينسب الفعل إلى عباده عند دعوتهم إلى العمل في الأسباب بمقتضى الشريعة والعقل والحكمة، فمرة يقول في بيان التقدير والقدرة: { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ } [الواقعة:٦٤] .

وقال أيضا: { فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ } [عبس:٢٤/٣٢] ، فنفى عن الناس خلقهم لأفعالهم وتأثير الأسباب بمفردها في أرزاقهم، وأثبت لنفسه تصريف الأسباب وانفراده بخلقها وتقليبها لأنه الخالق الخلاق على الحقيقة، فهو الذي علم وكتب وشاء وخلق، قدر كل شيء بعلمه، وكتبه في أم الكتاب بقلمه، وأمضاه بمشيئته، وخلقه بقدرته، ثم أمر الناس أن يأخذوا بالأسباب التي خلقها وأحكم ابتلاءهم بها فقال: { تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ } [يوسف:٤٧] .

وقال تعالى أيضا: { يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ } [الفتح:٢٩] ، فسماهم زراعا وقال تزرعون وسماهم كفارا لأنهم يضعون البذرة ويغطونها ويغيبونها في الأرض، فكلفنا بالعمل لأننا في دار ابتلاء وامتحان، والأخذ بالأسباب حتم على بني الإنسان؛ فهم مستخلفون في ملكه ومخولون في أرضه، فطالبنا بالعمل والإنفاق مع الإيمان بأنه الخلاق ليصل كل منا إلى ما قدر له من الأرزاق، فقال - جل جلاله: { آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } [الحديد:٧] .

ومن ثم فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ولا بد أن يجتازها الإنسان، وهو فيها بين نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين، وبين نجدين معروضين مطروحين بين إرادته ومخير فيهما بحريه إما إلى جنة وإما إلى نار، كل ذلك ليؤول الناس إلى سابق التقدير وما دون في الكتاب من تقرير المصير لا تغير فيه ولا تبديل، قال تعالى: { فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ } [الشورى:٧] .

فالخلاق سبحانه أظهر الدنيا أسبابا ونسب الفعل إلى أهلها لإظهار حكمته ونسب الفعل وأثبته لنفسه في موضع آخر لإظهار قدرته، فلا يتغافل العبد عن قدرته بدعوى الانشغال في النظر إلى حكمته، وأن الأسباب حاكمة على مشيئة الله وقدرته، وأنها صارمة لا يمكن أن يتخلف المعلول فيها عن علته، فالله - عز وجل - يخلق بأسباب وبغير أسباب، إن خلق بأسباب فهي العادات، وإن خلق بغير أسباب فهي خوارق العادات أو الكرامات والمعجزات، فتجد الثمرة يخلقها الله بعد خلق النبتة ويربط خلق الثمرة بوجودها، ويمكن أن يخلق الثمرة من غير نبتة ويصبح وجودها كعدمها، فهذه مريم ابنة عمران كانت تأكل من الثمار في غير أوانها، قال تعالى: { كُلَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران:٣٧] .

قيل أنها كانت ترزق بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (١) ، وهى قد علمت أن الذي يخلق الثمرة بأسباب قادر على أن يخلقها بغير أسباب، ويرزق من يشاء من عبيده بغير حساب، ولذلك كان من قوة يقينها أن الله اختارها محلا للابتلاء وأنها ستحمل على غير عادة النساء، ويخرج منها عيسى - عليه السلام - كمعلول بغير علة ونتيجة بلا سبب، قال تعالى: { فَأَرْسَلنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّل لهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا قَال إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا قَال كَذَلكِ قَال رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلنَجْعَلهُ آيَةً للنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } [مريم:٢١/١٧] .

والمقصود بقوله هين أن خوارق العادات لا تأخذ في مراتب القدر ما تأخذه العادات فالولد مثلا في العادة يخلق من أب وأم، وفي خرق العادة من أم فقط فالخلق في العادة أكثر منه في خارق العادة، فعند المقارنة الحسابية وطرح الخوارق من العادات تكون الخوارق أهون وأيسر، وإن كان كل شيء على الله يسير، لكن المراد أن يفهم سائر العباد أن قضية البعث والإعادة قضية حقيقية، وأن ذلك من الأمور اليقينية الحتمية وهي يسيرة على الخلاق، قال تعالى: { وَهُوَ الذِي يَبْدأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلهُ المَثَلُ الأَعْلى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ } [الروم:٢٧] ، وقال سبحانه: { أَوَلَيْسَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الخَلاقُ العَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الذِي بِيَدِهِ مَلكُوتُ كُل شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يّس:٨٣] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤٤/٣ .

والله - عز وجل - قد يخلق العلة ولا يخلق معلولها وتتخلف النتيجة عن سببها كما فعل بنار إبراهيم - عليه السلام: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ } [الأنبياء:٦٩] ، أضرموا نارا لا يقوى الطير على المرور من فوقها وقد توفرت لهم العلة ولكن الله - عز وجل - لم يخلق معلولها .

وعند البخاري من حديث أنس بنِ مالكٍ - رضي الله عنه: (أَنَّ يَهودِيَّةً أَتَتِ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - بشاةٍ مَسمومَةٍ فأكَل منها فجيء بها، فقيل: ألا نقتُلُها؟) (١) ، وفي رواية مسلم: (فجيء بِهَا إِلى رَسُول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَسَأَلَهَا عَنْ ذلكَ؟ فَقَالتْ: أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ، قَال: مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلطَكِ عَلى ذَاكِ، أَوْ قَال: عَلَيَّ، قَال قَالُوا: أَلاَ نَقْتُلُها؟ قَال لاَ) (٢) ، فالسم علة تخلف معلولها ولم تؤثر في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

---

(١) البخاري في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين٢/ ٩٢٣ (٢٤٧٤) .

(٢) مسلم في السلام، باب السم ٤/ ١٧٢١ (٢١٩٠) .

وقد يخلق الله - عز وجل - المعلول بلا علة كما خلق ناقة صالح - عليه السلام - من الجبل: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الأعراف:٧٣] ، وعند البخاري من حديث عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ - رضي الله عنه: (أنَّ أصحابِ الصُّفَّةِ كانوا أُناساً فُقراءَ، وأَنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: مَن كان عندَهُ طعامُ اثنينِ فليَذْهَبْ بثالثٍ وإنْ أَربعٌ فخامسٌ أو سادس، وإنَّ أَبا بكرٍ جاءَ بثلاثةٍ فانطلقَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بعشَرةٍ، قال: فهوَ أَنا وَأَبي وَأُمي وخادِمٌ بيننَا وبينَ بيتِ أبي بكر، وإنَّ أَبا بكرٍ تعشَّى عندَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ثم لبِثَ حيثُ صُليَتِ العِشاءُ، ثم رجعَ فلبِثَ حتّى تعشَّى النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ، فجاءَ بعدَ ما مضى مِنَ الليل ما شاءَ اللهُ، قالت له امرأَتُه: وما حبَسكَ عن أضيافِكَ؟ قال: أَوَ ما عَشيتِيهم؟ قالت: أَبَوا حتّى تَجيء، قد عُرِضوا فأَبَوا، قال فذهبتُ أَنا فاختبأْتُ، فقال: يا غُنثَرُ، فجَدَّعَ وسَبَّ، وقال: كُلوا لا هَنِيّاً، فقال وَاللهِ لا أَطعَمُه أبداً، وأَيمُ اللهِ، ما كنا نأْخُذُ من لُقمةٍ إلاّ رَبا من أَسْفلها أكثرُ منها يعني حتى شَبِعُوا، وصارتْ أَكثَرَ مما كانت قبل ذلك، فنظرَ إليها أبو بكرٍ فإذا هيَ كما هيَ أو أكثرُ، فقال لامرأتِه: يا أُختَ بني فِراسٍ ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّةِ عيني لهيَ الآنَ أَكثرُ منها قبل ذلكَ بثلاثِ مرّاتٍ، فأَكل منها أبو بكرٍ وقال: إنما كان ذلكَ منَ الشيطانِ، يعني يَمينَهُ، ثمَّ أَكل منها لُقمةً، ثمَّ حَملها إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - فأصبحتْ عندَه وكان بيننَا وبينَ قومٍ عَقدٌ فمضى الأجلُ ففرَّقنَا اثْنَيْ عشرَ رجُلاً، معَ كل رجلٍ منهم أُناسٌ اللهُ أعلم كم مَع كل رجُلٍ، فأكلوا منها أجمعون، أَو كما قال) (١) .

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (أُتِيَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ، قَالَ قَتَادَةُ: قُلتُ لأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ ثَلاثَ مِائَةٍ أو قريبا من ذلك) (٢) .

---

(١) البخاري في مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل ٢١٧/١ (٥٧٧) ، والغنثر هو الثقيل الوخيم طويل البال، وقيل الضعيف الحقير، ومعنى فجَدَّعَ وسَبَّ، دعا بقطع الأنف وغيره من الأعضاء، وشتم على تأخير واجب الضيافة، انظر فتح الباري ٥٩٨/٦ .

(٢) البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/ ١٣٠٩ (٣٣٧٩) .

قال ابن القيم: (الأسباب مظهر حكمته وحمده وموضع تصرفه لخلقه وأمره، فتقدير تعطيلها تعطيل للخلق والأمر، وهو أشد منافاة للحكمة وإبطالا لها، واقتضاء هذه الأسباب لمسبباتها كاقتضاء الغايات لأسبابها، فتعطيلها منها قدح في الحكمة وتفويت لمصلحة العالم التي عليها نظامه وبها قوامه، وأن الرب سبحانه قد يخرق العادة ويعطلها عن مقتضياتها أحيانا إذا كان فيه مصلحة راجحة على مفسدة فوات تلك المسببات، كما عطل النار التي ألقى فيها إبراهيم وجعلها عليه بردا وسلاما عن الإحراق لما في ذلك من المصالح العظيمة، وكذلك تعطيل الماء عن إغراق موسى وقومه وعما خلق عليه من الإسالة والتقاء أجزائه بعضها ببعض هو لما فيه من المصالح العظيمة والآيات الباهرة والحكمة التامة التي ظهرت في الوجود، وترتب عليها من مصالح الدنيا والآخرة ما ترتب فهكذا سائر أفعاله سبحانه مع أنه أشهد عباده بذلك أنه مسبب الأسباب، وأن الأسباب خلقه وأنه يملك تعطيلها عن مقتضياتها وآثارها، وأن كونها كذلك لم يكن من ذاتها وأنفسها، بل هو الذي جعلها كذلك، وأودع فيها من القوى والطبائع ما اقتضت به آثارها، وأنه إن شاء أن يسلبها إياها سلبها، لا كما يقول أعداؤه من الفلاسفة والطبائعيين وزنادقة الأطباء أنه ليس في الإمكان تجريد هذه الأسباب عن آثارها وموجباتها، ويقولون لا تعطيل في الطبيعة وليست الطبيعة عندهم مربوبة مقهورة تحت قهر قاهر وتسخير مسخر يصرفها كيف يشاء، بل هي المتصرفة المدبرة .

ولا كما يقول من نقص علمه ومعرفته بأسرار مخلوقاته وما أودعها من القوى والطبائع والغرائز، وبالأسباب التي ربط بها خلقه وأمره وثوابه وعقابه، فجحد ذلك كله ورد الأمر إلى مشيئة محضة مجردة عن الحكمة والغاية، وعن ارتباط العالم بعضه ببعض ارتباط الأسباب بمسبباتها والقوى بمحالها) (١) .

---

(١) طريق الهجرتين ص٢٥٧.

ومن ثم فإن الإيمان بأن الله - عز وجل - هو الخلاق يقتضي الإيمان بشرع الله وقدره على الإطلاق، وأن كل ما أخبر به عن البعث والجنة والنار حق لا ريب فيه، روى مسلم من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: (مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ) (١) ، وما أحسن قول القائل:

يمضى الزمان وكل فان ذاهب إلا جميل الذكر فهو الباقي

لم يبق من إيوان كسرى بعد ذاك الحفل إلا الذكر في الأوراق

هل كان للسفاح والمنصور والمهدي من ذكر على الإطلاق

رجع التراب إلى التراب بما اقتضت في كل خلق حكمة الخلاق (٢) .

وممن تسمى عبد الخلاق، الشيخ الإمام زين الدين عبد الخلاق بن أحمد بن الفرزان الحنبلي في هذه السنة توفي بنابلس سنة ثمان وأربعين وثمانمائة (٣) .

---

(١) مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/ ٥٧ (٢٨) .

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٦/ ٢٠٣.

(٣) شذرات الذهب ٤/ ٢٦٢.

٧٦ - الله - جل جلاله - المَالِكُ

الدليل على ثبوت الاسم وإحصائه.

اسم الله المالك ورد في القرآن على سبيل الإضافة والتقييد مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية، وإن كانت الإضافة تحمل معنى الإطلاق في الملكية، لكنه ورد في السنة النبوية مطلقا، فمن القرآن قوله تعالى: {قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلكِ} [آل عمران:٢٦] . والملك يطلق في مقابل الملكوت، فالملك يراد به عالم الشهادة غالبا أو الحياة الدنيا بصفة عامة، والملكوت أيضا يراد به في الغالب عالم الغيب أو عالم الآخرة، والله عز وجل هو مالك الملك والملكوت رب العالمين، الذي يملك عالم الغيب وعالم الشهادة بما فيهما، قال تعالى: { قُل يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الذِي لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [الأعراف:١٥٨] ، فالمالك هو المنفرد بملكية الملك والملكوت .

والله - عز وجل - كما أفرد نفسه بملكيته لعالم الملك أفرد نفسه بملكيته لعالم الغيب أو عالم الملكوت، فقال تعالى: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة:٤/٢] (١) .

وإذا كان الحق سبحانه مالكا لعالم الغيب والشهادة وما فيهما كما بينت الأدلة السابقة فهو المالك إذا على سبيل الإطلاق أزلا وأبدا، وعلى الرغم من ذلك فإن أدلة الاسم في القرآن لا تكفي وحدها لحصره أو عده ضمن الأسماء نظرا لعدم الإطلاق الصريح .

---

(١) بعيدا عن التقسيم الصوفي الفلسفي لعالم الملك والملكوت وفق دعواهم بالحضرات الإلهية الخمس كما ذكر الجرجاني في التعريفات ص١١٩، وتقسيمات أبي حامد الغزالي في معارج القدس ص ١٥، ص٨٧، وجواهر القرآن ص٤٨، فإننا نعني بالملك والملكوت عالم الغيب والشهادة بناء على إظهار قدرة الله في تقليب الأسباب الظاهرة من إتيان الملك أو نزعه وفق مشيئته وأمره، أو إدراك القدرة الإلهية فيما ورائها، انظر المزيد عن هذا الموضوع في التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٢٨٣، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية ص٢٠٣، والرد على المنطقيين ص١٩٦ .

والشرط الذي نلتزمه في حصر الأسماء الحسنى أن يفيد الثناء بنفسه من غير إضافة وأن يرد نص صريح صحيح في ذلك، فالذي ورد في القرآن يعد وصفا أكثر من كونه اسما، لكن الذي يجعله اسما ووصفا هو ما سماه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيما ثبت عند مسلم من رواية أَبُي بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللهُ - عز وجل -) (١) ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - سماه مالكا على سبيل الإطلاق الصريح مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية .

شرح الاسم وتفسير معناه .

المالك في اللغة اسم فاعل فعله ملك يملك فهو مالك، والله - عز وجل - مالك الأشياء كلها ومصرفها على إرادته لا يمتنع عليه منها شيء، لأن المالك للشيء في كلام العرب هو المتصرف فيه والقادر عليه، فإن قال قائل: فقد يغصب الإنسان على الشيء فلا يزول ملكه عنه، قيل له: لا يزول ملكه عنه حكما وديانة، فأما في الظاهر والاستعمال فالغاصب له ما هو في يده يصرفه كيف شاء؛ من استعمال أو هبة أو إهلاك أو إصلاح، وإن كان في ذلك مخطئا آثما آتيا ما هو محظور عليه بإحالته بينه وبين مالكه، فإن رجع ذلك الشيء على صاحبه قيل: رجع إلى ملكه أي إلى حاله التي كان فيها حقيقة، والله - عز وجل - قادر على الأشياء التي خلقها ويخلقها لا يمتنع عليه منها شيء، وقد قرأ ابن كثير ونافع وأَبو عمرو وابن عامر وحمزة مَلِك يوم الدين بغير أَلف، وقرأَ عاصم والكسائي ويعقوب مالك بأَلف، وقد رويت القراءتان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢) .

---

(١) مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ١٦٨٨/٣ (٢١٤٣) .

(٢) اشتقاق أسماء الله للزجاج ص٤٣، ولسان العرب لابن منظور ٤٩١/١٠، وكتاب السبعة في القراءات لأبي بكر البغدادي ص ١٠٤ .

والله - عز وجل - مالك الملك، ملكه عن أصالة واستحقاك لأنه الخالق الحي القيوم الوارث فعلة استحقاق الملك أمران:

الأول: صناعة الشيء وإنشائه واختراعه، فالعاقل يعلم عقلا أن المخترع له براءة الاختراع والمؤلف له حق الطبع والنشر، روى البخاري عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لهُ) (١) ، وَيُرْوَى ذلك أيضا عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - (٢) ، وإذا كان ملوك الدنيا لا يمكن لأحدهم أن يؤسس ملكه بجهده منفردا فلا بد له من ظهير أو معين، سواء من أهله وقرابته، أو حزبه وجماعته، أو قبيلته وعشيرته، فإن الله - عز وجل - هو المتفرد بالملكية حقيقة، فلا أحد ساعده في إنشاء الخلق أو عاونه على استقرار الملك، أو يمسك السماء معه أن تقع على الأرض، قال سبحانه وتعالى: { أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف:٥٤] ، وقال أيضا: { مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلينَ عَضُدا } [الكهف:٥١] ، وعند البخاري من حديث عمران بن الحصين - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كان اللهَ ولم يكن شيء قبلهُ، وكان عرشه على الماء، ثم خلقَ السماواتِ والأرضَ وكتب في الذكر كل شيء) (٣) .

---

(١) البخاري في كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا ٨٢٣/٢ .

(٢) السابق ٨٢٣/٢ .

(٣) البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٢٦٩٩/٦ (٦٩٨٢) .

الثاني: دوام الحياة فهو علة أخرى لاستحقاق الملك لأنه يوجب انتقال الملكية وثبوت التملك، ومعلوم أن كل من على الأرض ميت فانٍ كما قال تعالى: { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَال والإكرام } [الرحمن:٢٧] ، وقال أيضا: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون } [العنكبوت:٥٧] ، ولما كانت الحياة وصف ذات لله والإحياء وصف فعله، فإن المُلْك بالضرورة سيئول إلى خالقه ومالكه كما قال: { لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّار } [غافر:١٦] ، وقال تعالى: { وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير } [آل عمران:١٨٠] ، فالمُلْك لله في المبتدأ عند إنشاء الخلق فلم يكن أحد سواه، والملك لله في المنتهى عند زوال الأرض لأنه لن يبق من الملوك سواه، وهو الملك من فوق عرشه لا خالق ولا مدبر للكون إلا الله، فالمَلِك هو المتصرف بالأمر والنهي في مملكته وهو القائم بسياسة خلقه، وملكه هو الحق الدائم له بدوام الحياة، ولما كان الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير فإنه ينفرد بالملك والتقدير إلزاما وينفرد أيضا بأنه المالك المستحق للملك، قال ابن القيم: (الفرق بين الملك والمالك أن المالك هو المتصرف بفعله، والملك هو المتصرف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره) (١) ، ويقصد أن مالك الشيء لا يلزم أن يكون ملكا لوجود من يرأسه ويمنع تصرفه في ملكه، أما الملك الذي له الملكية والملك فله مطلق التدبير والأمر .

---

(١) بدائع الفوائد ٤/ ٩٧٢ .

دلالة الاسم على أوصاف الله .

اسم الله المالك يدل على ذات الله وعلى صفة الملكية بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، والاسم يدل باللزوم على الحياة والقيومية فلا يمكن أن يكون المالك ميتا أو غافلا عن ملكه وإلا زال بعضه أو كله وكذلك فإن اسم الله المالك يدل باللزوم على العلم والمشيئة والقدرة والعزة والعظمة والقوة والقبض والبسط والإعطاء والمنع والسمع والبصر والحكمة والخبرة .

والله - عز وجل - لما ذكر ملكيته للأشياء وأنه الذي يمنحها لمن يشاء ذكر بعدها القدرة كلازم لذلك، فاسم الله المالك يدل على هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال باللزوم والاسم دل على صفة ذات .

الدعاء باسم الله المالك دعاء مسألة .

ورد دعاء المسألة بالاسم المقيد في قوله تعالى: { قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران:٢٦] ، وقوله تعالى: { الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } [الفاتحة:٧/٢] ، وعند الطبراني وحسنه الألباني من حديث أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ - رضي الله عنه: (ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك، قل يا معاذ: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك) (١) .

---

(١) المعجم الصغير١/٣٣٦ (٥٥٨) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢١) .

ومن الدعاء بالوصف قوله تعالى: { تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الملك:١] ، ومن الدعاء بمقتضى الوصف قوله تعالى: { قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف:١٨٨] .

الدعاء باسم الله المالك دعاء عبادة .

دعاء العبادة بالاسم هو اعتقاد وسلوك، فيعتقد أنه عبد في ملك سيده مستخلف في أرضه أمين على ملكه، قد ابتلاه فيما أعطاه وامتحنه واسترعاه، أيرد الملك إلى المالك أم ينسب للمخلوق أوصاف الخالق؟ فيتكبر على العباد بنعم الله ويتعالى عليهم بما منحه وأعطاه، فالموحد الصادق يتحرى في قوله وفعله توحيد الله في اسمه المالك لا يتوكل إلا عليه ولا يلجأ إلا إليه لعمله أن أمور الرزق بيديه، وأن المبتدا منه والمنتهى إليه، قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} [يونس:٣١] ، فوجب على الموحد أن يعرف نفسه وحقيقتها وحقيقة النعم وملكيتها، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة فإنه إلى المالك الأوحد أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع والخضوع، وكما أنه يتوجب عليه أن يشكر المالك عند العطاء فكذلك يتوجب عليه أن يصبر عند المنع، فالأمور بيد مالكها، والنفوس بيد خالقها، يختار ما يشاء لمن يشاء (١) .

هل سمى أحد من أهل العلم عبد المالك؟ جاء في المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس أنه قال: (سمعت عبد المالك بن عبد العزيز بن جريج يحدث أنه بلغه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: الحميل غارم) (٢) .

---

(١) انظر في هذا المعنى إحياء علوم الدين ٣/ ٣٥٩، وصفة الصفوة ٣/ ١٠١.

(٢) المدونة الكبرى ١٣/ ٢١٨، وانظر الدارس في تاريخ المدارس للدمشقي ٢/ ١١٤، والتكملة لكتاب الصلة للقضاعي ٢/ ٢٧١، والحديث صحيح عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الزعيم غارم) انظر صحيح الجامع (٤١١٦) .

٧٧ - الله - جل جلاله - الرَّزَّاقُ

الدليل على ثبوت الاسم وإحصائه .

سمى الله نفسه الرزاق في الكتاب والسنة فقد ورد الاسم مطلقا معرفا مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية وقد ورد المعنى محمولا عليه مسندا إليه كما ورد في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات:٥٨] ، وعند الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: (غَلاَ السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعِّرْ لَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّى وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ) (١) ، وعند الترمذي وصححه الألباني من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (٢) .

شرح الاسم وتفسير معناه .

الرزاق في اللغة من صيغ المبالغة على وزن فعال من اسم الفاعل الرازق، فعله رزق يرزق رزقا، والمصدر الرزق وهو ما ينتفع به والجمع أرزاق (٣) .

---

(١) الترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير ٦٠٥/٣ (١٣١٤) .

(٢) أبو داود في كتاب الحروف والقراءات، أول كتاب الحروف والقراءات ٣٥/٤ (٣٩٩٣) .

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ٢٧٨/١، ولسان العرب ١١٥/١٠ .

وحقيقة الرزق هو العطاء المتجدد الذي يأخذه صاحبه في كل تقدير يومي أو سنوي أو عمري فينال ما قسم له في التقدير الأزلي والميثاقي، والرزاق سبحانه هو الذي يتولى تنفيذ المقدر في عطاء الرزق المقسوم، والذي يخرجه في السماوات والأرض فإخراجه في السماوات يعني أنه مقضي مكتوب، وإخراجه في الأرض يعني أنه سينفذ لا محالة، ولذلك قال الله تعالى في شأن الهدهد الموحد ومخاطبته سليمان - عليه السلام: { أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [النمل:٢٦] ، فالرزق مكتوب في السماء وهو وعد الله وحكمه في القضاء قبل أن يكون واقعا مقدورا في الأرض، قال تعالى: { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } [الذريات:٢٢] ، وقال عن تنفيذ ما قسمه لكل مخلوق فيما سبق به القضاء: { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [العنكبوت:٦٠] ، وقال سبحانه وتعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } [هود:٦] ، فالله يتولاها لحظة بلحظة تنفيذا للمقسوم في سابق التقدير .

ومن ثم فالرزاق سبحانه هو الذي يتولى تنفيذ العطاء الذي قدره لأرزاق الخلائق لحظة بلحظ فهو كثير الإنفاق، وهو المفيض بالأرزاق رزقا بعد رزق، مبالغة في الإرزاق، وما يتعلق بقسمة الأرزاق وترتيب أسبابها في المخلوقات، ألا ترى أن الذئب قد جعل الله رزقه في أن يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب رزقه أن يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ رزقه أن يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى رزقها أن تصيد الطير فتأكله، والطير رزقه في أن يصيد الجراد فيأكله (١) ، وتتوالى السلسلة في أرزاق متسلسلة رتبها الرزاق في خلقه، فتبارك الذي أتقن كل شيء في ملكه، وجعل رزق الخلائق عليه، ضمن رزقهم وسيؤديه لهم كما وعد، وكل ذلك ليركنوا إليه ويعبدوه وحده لا شريك له، قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات:٥٧] ، فالأرزاق مقسومة ولن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله (٢) .

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ٢/٢٣٠ .

(٢) انظر في شرح الاسم وتفسير معناه، أسماء الله الحسنى للرازي ص٢٣٥، وتفسير الأسماء للزجاج ص ٣٨ والمقصد الأسنى ص٧٩ .

وعند مسلم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - : (قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ) (١) ، وقال تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِـغ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكل شَيْءٍ قَدْرا } [الطلاق:٣] ، وفي هذا بيان أن الذي قدره الله من الرزق على العموم والإجمال سيتولاه في الخلق على مدار الوقت والتفصيل فهو سبحانه الرزاق الخلاق القدير المقتدر، قال ابن القيم:

وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان

رزق على يد عبده ورسوله نوعان أيضا ذان معروفان

رزق القلوب العلم والإيمان والرزق المعد لهذه الأبدان

هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان

والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان

هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام كلاهما رزقان

والله رازقه بهذا الاعتبار وليس بالإطلاق دون بيان (٢) .

---

(١) مسلم في القدر، باب بيان الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص ٤/٢٠٥٠ (٢٦٦٣) .

(٢) شرح قصيدة ابن القيم ٢/٢٣٤ .

دلالة الاسم على أوصاف الله .

اسم الله الرزاق يدل بالمطابقة والتضمن واللزوم على ما دل عليه اسمه الرازق غير أن اسمه الرزاق مبالغة في الدلالة على الوصف لكثرة الفعل، فالرازق هو الذي قدر أرزاق الخلائق على الجملة في التقدير الأزلي قبل وجودهم، وتكفل باستكمالها لهم حين خلقهم، والرزاق سبحانه هو الذي يتولى تنفيذ العطاء لهم في التقدير المفصل سواء العمري أو السنوي أو اليومي، أو ما يخص كل فرد من كل جنس على اختلاف تنوعه في الوجود زمانا ومكانا، والاسمان يدلان على صفة من صفات الأفعال .

الدعاء باسم الله الرزاق دعاء مسألة .

ورد دعاء المسألة بالوصف في نصوص كثيرة تقدم بعضها في دعاء المسألة باسم الله الرازق، وعند البخاري من حديث أَبِي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لاَ يَقُل أَحَدُكُمُ اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ) (١) .

---

(١) البخاري في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ٦/٢٧١٨ (٧٠٣٩) .

وعند البخاري من حديث عمر - رضي الله عنه - قال: (اللهمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً في سَبِيلِكَ وَاجْعَل مَوْتِي في بَلَدِ رَسُولِكَ - صلى الله عليه وسلم -) (١) ، وعند مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا: (اللهمَّ اجْعَل رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا) (٢) ، وفي رواية عمرو - رضي الله عنه: (اللهمَّ ارْزُقْ) ، وعنده حديث أَبي مالك الأشجعي - رضي الله عنه - أنه قال: (كان الرَّجُل إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الصَّلاَةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ: اللهمَّ اغْفِرْ لي وارحمني وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي) (٣) .

---

(١) البخاري في فضائل المدينة، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة ٦٦٨/٢ (١٧٩١) .

(٢) مسلم في الزهد والرقائق، باب في الكفاف والقناعة ٧٣٠/٢ (١٠٥٥) .

(٣) مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠٧٣/٤ (٢٦٩٧) .

الدعاء باسم الله الرزاق دعاء عبادة .

أثر الاسم على العبد يتجلى في ثقته ويقينه أن الرزق سيصله كأمر محتوم وأن السعي في الأسباب إنما هو وقوع الأحكام على المحكوم، روى أحمد وصححه الألباني من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِن اللهَ - عز وجل - يُعْطِى الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلاَ يُعْطِى الإيمان إِلاَّ مَنْ أَحَبَّ) (١) ، فالعبد الموحد يثق في الرزاق وينفق، ولا يخف من ذي العرش إقلالا، روى البزار وصححه الألباني من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على بلال وعنده صبرة من تمر فقال: (ما هذا يا بلال؟ قال: شيء ادخرته لغد، أو أعد ذلك لأضيافك، فقال: أما تخشى أن يفور له بخار في نار جهنم يوم القيامة، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا) (٢) ، ألا ترى الطير لا تملك خزائن لقوتها وليس لها من الرزق إلا ما قدر بسعيها، روى الترمذي وصححه الألباني من حديث عمر - رضي الله عنه - أن رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: (لوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلتُمْ عَلى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً) (٣) .

---

(١) أحمد ٣٨٧/١ (٣٦٧٢) ، السلسلة الصحيحة (٢٧١٤) .

(٢) مسند البزار ٥/ ٣٤٨ (١٩٧٨) ، صحيح الجامع (١٥١٢) .

(٣) الترمذي في الزهد، باب في التوكل على الله ٤/ ٥٧٣ (٢٣٤٤) ، صحيح الجامع (٥٢٥٤) .

وقد وكل الله ملكين ينزلان من السماء، أحدهما يدعو لكل منفق والآخر يدعو على كل ممسك، روى البخاري من حديث أَبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلكانِ يَنزِلانِ، فيقولُ أحدُهما: اللهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلفاً) (١) .

والذي وحد الله في اسم الله الرزاق على يقين أن كل ما يناله من الخير والعطاء فهو رزقه من رب السماء، وأن الله قد قسمه فيما سبق به القضاء، وأن ما ناله من الأحكام سيصله لا محالة بالتمام، وما قسمه في المكتوب أزلا لن يكون لغيره من الخلق أبدا، فالله - عز وجل - متصف بالقدرة والحكمة، ومن أسمائه القدير الحكيم، فبالقدرة خلق الأشياء وأوجدها وهداها وسيرها وهذا توحيد الربوبية، وبالحكمة رتب الأسباب ونتائجها وابتلانا لنأخذ بها تحقيقا لتوحيد العبودية، فالذي وحد الله حقا لا بد أن يتقلب في إيمانه بالله بين حكمته وقدرته وعدله ومشيئته، فلا يسقط الشرائع والأحكام ويتغاضى في سعيه عن تمييز الحلال من الحرام لاحتجاجه بمشيئة الله وقدرته وأن الخلائق مسيرون على جبر إرادته، ولا مناص من الدخول تحت قهر ربوبيته فيعطل اسم الله الحكيم، وما تضمنه الاسم من وصف الحكمة .

---

(١) البخاري في الزكاة، باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى٢/٥٢٢ (١٣٧٤) .

وفي المقابل أيضا لا يجعل الأشياء والأسباب حاكمة أو ضارة نافعة فيشرك في توحيد الله، لأن الله قدير والقدرة صفته، وهو الذي أعطى ومنع وضرّ ونفع وخلق وفعل وجعل لا شريك له في أسمائه ولا ظهير له في أحكامه كما قال - عز وجل - في محكم كلامه: { إِنِ الْحُكْمُ إِلا للهِ } [يوسف:٤٠] ، وقال: { وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدا } [الكهف:٢٦] ، وقال أيضا عن جميع من سواه: { إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [العنكبوت:١٧] .

وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - أنه الرزاق كما أنه هو الخالق المحيي المميت، فقرن بين هذه الأربع في موضع واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة، فقال - عز وجل: { الله الذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } [الروم:٤] ، فكما أن الله - عز وجل - وحده هو الخالق المحي المميت فكذلك هو وحده الرزاق، وإنما ذكر الله - عز وجل - الأسباب لأن الأسماء تتعلق بها وأحكام الشرع عائدة عليها بالثواب والعقاب، فذكرها لكي لا تعود الأحكام على الحاكم - عز وجل -؛ فالجميع عنده وفي خزائنه إلا أنه أضاف الدنيا إلينا لرجوع الأحكام علينا وليزهدنا فيها، وأضاف الآخرة إليه تفضيلا لها وترغيبا لنا فيها، وقد روى مسلم من حديث صهيب - رضي الله عنه - أن رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ

إِلاَّ للمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ) (١) .

---

(١) مسلم في الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥ (٢٩٩٩) .

وممن تسمى بالتعبد للاسم عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ الكبير أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني صاحب التصانيف، روى عن عبيد الله بن عمر قليلا وعن بن جريج وثور بن يزيد ومعمر الأوزاعي والثوري وخلق كثير، وحديثه مخرج في الصحاح، مات في نصف شوال سنة إحدى عشرة ومائتين (١) .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٤، والتاريخ الكبير للبخاري ٦/ ١٣٠، وتهذيب الكمال للمزي ١٨/ ٥٢.